قضية اجتماعية خطيرة تلاحق المجتمعات الإسلامية

الموضة .. بين التقليد الأعمى وتعاليم الإسلام

إن السعي لملاحقة الموضة قضية اجتماعية خطيرة تواجه المجتمعات الإسلامية، في ظل ظروفها الاقتصادية والاجتماعية المتردية، والنفس البشرية تتوق دائمًا للجمال وتعجب به، فالجمال هبة من الله يهبها لمن يشاء، (بان الجمال من صفات الله -عز وجل- فقال: (إن الله جميل يحب الجمال) [مسلم]. وقد أخبر النبي

وقد أمر الله -عز وجل- عباده بالتزين والتجمل في غير إسراف، مع التأكيد على أن لباس التقوى هو الساتر الحقيقي للإنسان، قال تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ [الأعراف: 26].

الزينة المباحة:

والمسلم يعمل على الاهتمام بمظهره الخارجي كل حسب طاقته وقدرته، وكل هذا مباح ولا غبار عليه مادام لا يتعدى حدود الشريعة الآمرة بستر العورة للرجال والنساء على السواء، قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الأعراف: 32].

فالتجمل والاعتدال فيه والانضباط أمر حسن ومحمود، أما الإسراف فيه والتقليد الأعمى لكل ما يبتدع على أيدي أعداء الإسلام فهو المذموم الذي لا يحبه الله

-عز وجل- ولا يرضاه لعباده. ومما يؤسف له أن نرى من المسلمات من يلهثن وراء خطوط الموضة كما يسمونها، ويعدُّون هذا تحضرًا وتقدمًا.

منبع الموضة:

وينبغي بداية أن نعلم أنّ الموضة من صادرات الغرب الصليبي إلى بلاد المسلمين، فالموضة هي مجموعة أذواق وأهواء ضالة، تصور للناس السذّج على أنها الحضارة بعينها، وأن من لا يفعل ذلك فهو غير متحضر ولا يجاري العصر

الدائرة المفرغة

والعجب كل العجب أن هذه الموضة تتغير بتغير الزمان والمكان والفصول والشهور، والطول والقصر، والسمنة والنحافة، وكبر السن، وصغره، مما يؤدي بمن تتتبعها أن تدور في دائرة مفرغة لا ينتهي بها الدوران حتى تقضي عليها.

وقبل الحديث عن الموضة ينبغي للمسلم أن يضع في حسبانه بعض المبادئ الشرعية، حتى يفهم كيف يتعامل مع الموضة، فقد أمر الله -عز وجل- المؤمنين بعدم اتباع أهواء القوم الضالين، قال تعالى: ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة: 77]. وقد لعن

■ المسلم يعمل على الاهتمام بمظهره الخارجي كل حسب طاقته وقدرته

رسول الله (المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء [البخاري].

موضة النساء:

ونحن نرى أن المرأة -خاصة- في مجتمعاتنا الإسلامية قد انجرفت في تيار الموضة، فإذا أمر الغرب بإطالة الثوب سمعتْ لأمره، وإذا أمر بتقصيره أو لبس الثياب اللاصقة بالجسد كانت أول من يسمع ويطيع. فالمتبعة للموضة تبدو وكأنها إنسانة خاوية من داخلها لا تملك إلا أن تسلم وتستسلم لأصحاب الأهواء، فإذا أمرها الغرب بارتداء (البنطلون) بدعوى أنه يسهل حركتها ويساعدها على ممارسة الرياضة والذهاب إلى العمل، سمعت وأطاعت بدون وعي ولا تدبر.

وكذلك اختيار الإكسسوارات وألوان الماكياج التي يجب أن تتفق مع لون الفستان، أو البشرة، والدقة في اختيار قصّة الشعر وتسريحته، بحيث يتماشى مع أحدث القصّات العالمية.. إلى غير ذلك.

موضة الرجال:

وإن كانت الموضة توجه أكثر النساء، فإن أعداء الإسلام لم يتركوا الرجال، فظهر في الشباب تقليد الغربيين وغيرهم من فساق هذه الأمة، فتراهم يقصون شعرهم كما يقصه أحد المغنين أو أحد الرياضيين، كما يلبسون السلاسل الذهبية في أعناقهم، ويرتدون ملابس معينة، تشبها بقوم هم -لما فيهم من فسوق- لا يساوون عند الله جناح بعوضة.

المستفيد الأول:

والمستفيد الأول من الموضة الشركات التي تتاجر في المنتجات الخادمة لهذه الموضات، كالشركات المنتجة لأدوات التجميل، وكذلك وسائل الإعلام المروّجة لهذه المنتجات التي تجعل همّ الإنسان الأكبر متابعة الموضة وملاحقة كل ما ينشر عنها في وسائل الإعلام بما يكفي لصرفه عن الغاية الأساسية التي خلق من أجلها وهي عبادة الله وتعمير الكون بالعمل الصالح، قال تعالى: (وما خلقت الجنّ والإنس إلا

ليعبدون) [الذاريات: 56].

الآثار الخطيرة للموضة:

- كشف المرأة لمفاتنها بين الناس فيه إثارة الغرائز، مما يؤدي إلى الفساد والانحلال الخلقي، وهذا بدوره كفيل بانهيار المجتمع وضياع الروابط والعلاقات الصالحة بين الناس.

- انتشار الكبر والتفاخر بين الناس، حيث إن كل من الرجل والمرأة يتباهى ويتفاخر بثيابه على الآخرين ويهتم بأناقته أمام المجتمع، وقد حرم الإسلام أن يلبس المسلم لباس شهرة.

- انشغال وسائل الإعلام بخدمة هذه الموضة، حيث إنها الوسيلة الأولى لنشر خطوط الموضة وتعريف الناس بها، سواء أكانت وسائل إعلام مرئية أم مسموعة، أم في صورة كتب ومجلات خليعة، فوسائل الإعلام تسعى وراء المكاسب المادية فلا تراعي القيم الخلقية في سبيل مكاسبها. وبدلا من أن يكون الإعلام أداة وعي يصبح أداة لصرف الناس عن رعاية شئون الأمة الإسلامية والاهتمام بالمصالح الشرعية.

- انتشار العديد من الأمراض وبخاصة الجلدية بين النساء؛ نتيجة استخدام بعض أنواع الكريم والشامبو ووسائل التجميل الأخرى، وانتشار العديد من الأمراض النفسية وخاصة بين النساء، كالحسد والحقد والإحباط حيث إن بعض النساء لا يجدن ما يسايرن به الموضة.

- خروج المرأة للعمل سعيًا وراء المال الذي يحقق لها أهدافها لشراء أحدث الأزياء، بدلا من أن تتحمل مع زوجها نفقات الحياة المتزايدة يومًا بعد يوم، فإنها تنفق ما تحصل عليه من مال لإشباع رغباتها، وفي هذا إثارة لمشاعر الزوج تجاهها، وبداية لتفتت الأسرة، وقد يضطر الزوج مع كثرة إنفاق زوجته أن يتزلق في مهاوٍ خطيرة كالسرقة أو الرشوة أو الاختلاس.

دور الإسلام:

وأمام هذه الآثار الخطيرة المدمرة يقف الإسلام حاميًا ومدافعًا عن المسلمين حتى لا يسقطوا في الهاوية، فالإسلام أمرَ بالتزين والتجمل، ولكنه حث على الاعتدال والوسطية، قال تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف: 31]. وقال (: (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة) [البخاري وأحمد]، ولقد نهى الإسلام عن التكبر فقال (: (بينما رجل يمشي قد أعجبته جمّته وبُرداه إذ خسف به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة) [متفق عليه].

وقد صان الإسلام المرأة ووضع لها من الضوابط ما يصونها من العبث والامتهان، ونذكر المرأة المسلمة -خاصة- لوقوعها في أخطار الموضة بحديث رسول الله (: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات، مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) [مسلم].

فأي الطريقين أحق أن يتبع، وأيهما عنوان الحضارة والتقدم؟! وصدق الله -عز وجل- إذ يقول: ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام: 152]. إن الإسلام يحرص على الهوية الإسلامية لأتباعه، وأن تكون لهم شخصية استقلالية فلا يجرون وراء كل لاهث، ولا يسمعون لكل ناعق، فمنهجهم يحفظ لهم شخصيتهم وتمييزهم عن بقية الأمم.

التبرج والحجاب

لا يخفى على أحد ما عمت به البلوى في كثير من البلدان الإسلامية، من تبرج كثير من النساء وسفورهن وعدم احتجابهن عن الرجال، وإبداء زينتهن التي حرم الله عليهن إبداءها، ولا شك أن ذلك من المنكرات العظيمة والمعاصي الظاهرة التي تحل بها العقوبات وتنزل النقمات، ويترتب عليها ظهور الفواحش وارتكاب الجرائم وقلة الحياء وعموم الفساد.

إن معصية التبرج لها ثقل كبير في ميزان الآثام، وبها تسقط المرأة في براثن الشيطان؛ لتصبح شيطانة ظاهرة للعيون، تفوق في فسادها وإفسادها ما يفعله الشيطان بأتباعه.

ما هو التبرج؟!

والتبرج هو أن تُظهر المرأة للرجال الأجانب ما يوجب الشرع أن تستره من زينتها ومحاسنها؛ كأن تبدي لهم مفاتن جسدها، أو أن تفتنهم بمشيها وتمايلها وتبخترها.

والتبرج معصية ليست فردية، بل هي معصية اجتماعية، تشترك فيها المتبرجة مع ولي أمرها الذي يسمح لها بذلك ولا يمنعها، ويشارك فيها أفراد المجتمع الذين لا يبالون بزجر المتبرجة وردها عن غيها؛ لذلك استحقت المتبرجة اللعن والحرمان من الجنة بل من تنسم ريحها.

حكم التبرج:

والتبرج محرم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وما تفعله أكثر نساء هذا الزمان من التبرج والزينة ما هو إلا مجاهرة بالعصيان وتشبه بالكافرات وإثارة للفتنة، قال تعالى: ﴿وقرن في بيوتكم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ [الأحزاب: 33]، وقال (: (صنفان من أهل النار لم أرهما.. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) [مسلم].

أسباب التبرج:

وللتبرج أسباب كثيرة منها:

1 -ضعف الإيمان في النفوس، فتستحسن القبيح، وتستقبح الحسن ويصير المعروف عندها منكرًا، والمنكر معروفًا.

2 - التقاعس عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3 - قلة العلم، وظهور الجهل، وقلة العلماء العاملين بعلمهم، الذين يحملون القدوة لمجتمعاتهم.

4 - سوء التربية والتوجيه والتعليم من جهة الآباء ومن جهة منشآت التعليم.

5 - وسائل الإعلام ودورها الخطير في تشجيع التبرج والسفور والاختلاط.

6 - تقليد الأوربيين والأمريكيين، واتخاذهم قدوة ومثلا أعلى في الحضارة والتقدم.

■ صان الدين المرأة ووضع لها من الضوابط ما يحميها من العبث والامتهان

آثار التبرج:

آثار التبرج كثيرة، منها:

شيوع الفواحش، وسيطرة الشهوات، وحلول الرذيلة، وفساد الأسر، وتفشي الطلاق، والإساءة إلى المرأة في عفافها وعرضها، ثم يأتي بعد ذلك الانهيار الأخلاقي الشامل.

الحجاب حرية:

وقد أمر الله تعالى بالحجاب، وهو أن ترتدي المرأة ما يستر جسمها وزينتها عن أنظار الرجال غير المحارم، والمرأة التي تعتقد أن الله تعالى يضيق عليها بفرضه الحجاب، هي امرأة لم تتشبع روحها بالإيمان، ولم يتشرب قلبها حقيقة الإسلام، وإلا لفهمت أن حريتها تكمن في ستر جسدها من عيون الفساق.

والإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع عفيف، لا تهيج فيه الغرائز والشهوات، ولا تستثار، حتى لا تنتهي إلى سعار شهواني لا يرتوي. فلا مكان في المجتمع المسلم للنظرة الخائنة والحركة المثيرة والجسم العاري، من أجل ذلك كله فرض الله الحجاب على المرأة حفظا لها من الأذى، ومنعا للرجال من الوقوع في الفتنة.

حكمة الحجاب:

والحجاب أو الزي الشرعي واجب على المرأة المسلمة وجوبًا عينيًا لا يسعها تركه، وقد تعددت النصوص الواردة في ذلك، ومثاله قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا﴾ [الأحزاب: 59].

وقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾ [النور: 31].

شروط الحجاب:

ويشترط في الزي الشرعي بعض الشروط، منها:

-أن يكون ساترًا لجميع البدن: على رأي بعض الفقهاء، وقد استثنى بعضهم الوجه والكفين، لقوله تعالى: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ [الأحزاب: 59]، والجلباب: هو الثوب السابغ الذي يستر البدن، ومعنى الإدناء : الإرخاء والسدل.

-أن يكون كثيفًا غير رقيق ولا شفاف؛ لأن الغرض من الحجاب الستر.

-ألا يكون زينة في نفسه أو ذا ألوان جذابة تلفت الأنظار؛ لقوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ [النور: 31]، أي بدون قصد أو تعمد، فإذا كان في ذاته زينة فلا يجوز ارتداؤه ؛ لأن الحجاب هو الذي يمنع ظهور الزينة للأجانب.

-أن يكون واسعًا غير ضيق؛ لا يصف البدن بضيقه، ولا يجسّم العورة، ولا يظهر مواضع الفتنة.

-أن لا يكون معطرًا؛ حتى لا يثير الرجال، ويجذب اهتمامهم، قال (: (كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس، فهي كذا وكذا) يعني زانية [الترمذي].

- أن لا يشبه زي الرجال؛ لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: لعن رسول الله (الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل. [أبو داود].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله (قال: (لعن الله المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء) [البخاري]، يعني المتشبهات بالرجال في أزيائهن، كبعض نساء هذا الزمان.

أهمية الحجاب:

الحجاب من أنفع الوسائل وألواها في منع الفاحشة، وهو الذي يجنب المرأة والرجل مسالك الفتنة والوقوع في المعصية، وتقوم فلسفة الضوابط الشرعية لزي المرأة في الرؤية الإسلامية على تحييد أنوثتها في حركتها الاجتماعية، والتركيز على البُعد الإنساني والإيماني في تعاملها مع الأجانب عنها، وليس بُعد الأنوثة، وذلك في كل ما يرتبط بحركتها خارج بيتها.

النظرة الغربية:

وهذه الضوابط الشرعية قد خالفتها النظرة الغربية للمرأة تمامًا، فأصبحت سلعة تخضع للعرض والطلب، وتعرض للإهانة، بل وشيوع مضايقتها جنسيًا، وتفشي الاعتداء عليها واغتصابها.

الشرع الحكيم:

ما أحكم الشرع الإسلامي الذي فرض على المرأة الحجاب رمز الطهر والنقاء والعفاف، وصدق الشاعر إذ يقول :

صوني جمالك إن أردت كرامة
كي لا يصول عليك أدنى ضيغم
لا تعرضي عن هدي ربك ساعة
عضي عليه مدى الحياة لتغنمي
ما كان ربك جائرًا في شرعه

هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في التزين

من محاسن الإسلام وكمال الشريعة إيمانها بقيمة الجمال والاهتمام به ، من خلال عدد من الأوامر الشرعية والأحكام التعبدية ، التي تدعو إلى التزيّن وحسن المظهر واعتبار ذلك من الأمور الممدوحة شرعا ، كقوله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الله جميل يحب الجمال) رواه مسلم ، وقوله أيضا : (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) رواه الترمذي .

من هذا المنطلق كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير أسوة وأفضل قدوة ، بما اشتهر به من جمال الهيئة ، وحسن السمت ، والاعتناء بالزينة ، ليجمع بين جمال الروح وأناقة المظهر ، وطيب الرائحة .

فكان - صلى الله عليه وسلم - يعتني بترجيل شعره ، وتسريح لحيته ، وكان لديه شعرٌ طويل يصل إلى أذنيه ، كما قال البراء بن عازب رضي الله عنه : « كان النبي - صلى الله عليه وسلم - له شعر يبلغ شحمة أذنيه » متفق عليه .

وعندما يطول شعر - صلى الله عليه وسلم - كان يربطه على شكل ضفائر ، ويدل عليه قول أم هانئ رضي الله عنها : « قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة وله أربع غدائر) رواه أبو داود . وفي أول أمره كان - صلى الله عليه وسلم - يسدل شعره مخالفة لمشركي مكة ، وموافقة لأهل الكتاب ، والمقصود بإسدال الشعر إرساله دون تفريق ، وبعد ذلك صار يفرق رأسه فرقتين ، مبتدئا بالجهة اليمنى كعادته في التيامن ، ودليل ما سبق قول ابن عباس رضي الله عنه : « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسدل شعره ، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ، ثم فرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأسه » رواه البخاري .

وكان - صلى الله عليه وسلم - يحبّ التيمّن في شأنه كله ، تقول عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليحب التيمن في طهوره إذا تطهّر ، وفي ترجّله إذا ترجّل ، وفي انتعاله إذا انتعل » رواه مسلم ، والترجّل هو تسريح الشعر .

وفي كل الأحوال ، لم يكن اهتمام النبي - صلى الله عليه وسلم - بشعره مبالغا فيه ، بل كان يحذّر من الإفراط في ذلك ، كما روى عبدالله بن مغفّل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن الترجّل إلا غبًا - أي بين الحين والآخر - ، رواه الترمذي .

واختلف أصحابه رضي الله عنهم في استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم - للخضاب ، فقال بعضهم : خضب ، وقال آخرون : لم يخضب ، والجمع بينها كما قال الإمام النووي : « والمختار أنه - صلى الله عليه وسلم - صبغ في وقت وتركه في معظم الأوقات ، فأخبر كل بما رأى وهو صادق ، وهذا التأويل كالمتعين » .

وعندما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحلق رأسه لا يترك من شعره شيئا ، يقول الإمام ابن القيم : « وكان هديه - صلى الله عليه وسلم - في حلق الرأس تركه كله ، أو أخذه كله ، ولم يكن يحلق بعضه ، ويدع بعضه ، ولم يحفظ عنه حلقه إلا في نسك » .

ومن هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في الزينة ، استعماله للكحل ،وكانت لديه مكحلة يكتحل منها كل ليلة ، ويفضل استخدام (الإثمد) وهو أجود أنواع الكحل ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (اكتحلوا بالإثمد : فإنه يجلو البصر ، وينبت الشعر) رواه الترمذي .

كذلك كانت للنبي - صلى الله عليه وسلم - عناية خاصة بسنن الفطرة ، كتوفير لحيته وإعفائها ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يرون لحيته من وراء ظهره ، يشير إليه قول خباب بن الأرت رضي الله عنه عندما سأله أبو معمر عن كيفية معرفتهم بقراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الظهر والعصر ، فقال له : باضطراب لحيته - أي تحرّكها - ، رواه البخاري .

من الإعجاز الإلهي القدرة على التنبؤ بأحداث المستقبل

القرآن . . وتحطيم حجب الغيب

لا يمكن تصديق الذين يدعون علم الغيب والقدرة على التنبؤ بأحداث المستقبل وإن طابق كلامهم الواقع أحيانا، وذلك لأن الله تعالى نفى العلم بالغيب عن جميع المخلوقات، كما ذكر هذا الأمر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كقوله جل شأنه: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) النمل 65. وقوله: (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر) الأنعام 59. فهذه الآيات وغيرها تثبت أن علم الغيب من اختصاصه تعالى ولا يمكن الوصول إليه من قبل مخلوقاته إلا على سبيل التبعية التي تكون بتعليم منه لرسله في الأمور التي تهم الرسالة، كما أشار إلى ذلك بقوله: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا×××إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا×××ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) الجن 26-28. والآية صريحة بأن الرسل الذين يرتضيهم الله تعالى قد يمكنهم من معرفة بعض المغيبات وبسرية تامة كما هو ظاهر من قوله: «فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا» وهذا يدل على أهمية البلاغ المودع لدى الرسل وما يظهره لهم فهذا على سبيل التبعية كما هو الحال في التوفي الذي هو من اختصاصه تعالى إلا أن هناك بعض الآيات تشير إلى الاستثناء المتحقق في الخارج، فقوله: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) الزمر 42. يدل على حصر التوفي به تعالى، أما قوله: (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) الأنعام 61. وقوله: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) السجدة 11. فهنا أراد تعالى التبعية التي يكون فيها ملك الموت أو غيره من الملائكة وسائط تعمل بأمره فهم لا يملكون المعرفة اللازمة للتوفي سوى تطبيقهم للأوامر الملقاة إليهم.

وهذا المثال الذي ضربته بآيات التوفي أشبه بعلم الغيب الذي يرتضيه الله تعالى لبعض رسله، كما هو الحال في نقل القدرة إلى بعضهم كما حصل مع عيسى وإبراهيم (عليهما السلام) أما المغيبات التي رويت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فالهدف منها إثبات صحة الرسالة لا غير، وقد صرح النبي في مواقف كثيرة عن الأمور التي ستحدث في المستقبل كما في قوله يأتي زمان على الناس، أو يأتي زمان على أمتي، أو قوله لأم سلمة «أنت على خير» وغيرها من أقواله التي كان لها تحقيق في الخارج، فقوله: كقوله لفاطمة «أنت أول أهل بيتي لحوقا بي» وقد تحقق ذلك بالفعل.

إضافة إلى ماذكره الرسول من زوال بعض الدول والممالك وكذلك تعيينه لمن يقتل من أكابر قريش في معركة بدر، حتى وصل الأمر إلى تبيينه مواضع قتلهم، فلم يجاوز أحدهم الموضع الذي عين له، وهذا العلم الغيبي لا يمكن أن يظهر للنبي إلا بتعليم من الله تعالى لأن صدق الرسول دليل على صدق الرسالة. فعندما يحدثنا القرآن الكريم عن المغيبات التي ستصبح مشاهدة في يوم ما فهذا يدل على صدق الكتاب وصدق من أنزل عليه، ولذلك نجد الكثير من الآيات القرآنية قد تحدثت عن المستقبل بكل جوانبه سواء المستقبل القريب أو المتوسط أو البعيد، وعند التحقق من وقوع ما أخبر به القرآن الكريم فلا بد من نفي الريب والشك الذي يختلج في نفوس من يريد النيل من كتاب الله تعالى، وخير مثال على ذلك تلك المعركة التي وقعت بين الروم والفرس، والتي انتصر فيها الفرس على الروم كما جاء ذلك في قوله تعالى: (غلبت الروم×××في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون×××في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون) الروم 2-4.

وكما قال المفسرون: فقد غلبت فارس الروم وظهروا عليهم على عهد النبي وفرح بذلك كفار قريش، لأن أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب وساء ذلك المسلمين وكان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبة للمسلمين فدفعتهم فارس عنه، وقوله: «في أدنى الأرض» أي أدنى الأرض من أرض العرب، ولهذا لا يعتد برأي من قال إن العلم الحديث اكتشف أن الأرض التي وقعت فيها المعركة هي أدنى أرض قياسا للكرة الأرضية، وذلك لأن اللام في «الأرض» للعهد وليس للاستغراق. وهذه الآية من الآيات الدالة على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى لأن فيه أنباء ما سيكون، ولا يعلم ذلك إلا الله تعالى، لذلك عقب بقوله: «لله الأمر من قبل ومن بعد» ولما ظهر صدق القرآن وغلبت الروم فارس في غضون بضع سنين، دل هذا على صدق الرسالة وصدق من جاء بها لأن المشركين هم الفئة الممتنعة من التصديق، أما أصحاب النبي فهم على يقين من صدق القرآن الكريم، ولذلك عندما ذكر هذا الأمر لأبي بكر فإنه قامرهم بغلبة الروم وفي بعض الروايات إنه قامرهم فقمرهم وكان القمار بإشارة من رسول الله ومن ذهب إلى هذا الرأي قال إن ذلك كان قبل تحريم القمار، لأن تحريم القمار جاء مع تحريم الخمر في قوله تعالى: (يا أيها

الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) المائدة 90.

أقول: لا يمكن أن يكون تحريم الخمر والقمار في سورة المائدة وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم ولكن الخمر والقمار حرمت في بداية البعثة وذلك في قوله تعالى: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي) الأعراف 33. وسورة الأعراف من السور التي نزلت في بداية البعثة، ولا يمكن أن نقول إن النبي لا يعلم أن الخمر والميسر من الإثم، وقد بين القرآن ذلك فيما بعد بقوله تعالى: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) البقرة 219. وأنت خبير بأن الأعراف حرمت ظاهر الفواحش وباطنها إضافة إلى الإثم الذي من مصاديقه الخمر والقمار فتأمل.